الفصل الثالث

الاتحاد الألمانى

لم يحاول مؤتمر فيينا أن يعيد الامبراطورية الرومانية المقدسة إلى الحياد وذلك لأن مترنخ كان يرغب فى الاحتفاظ بألمانيا مقسمة ضعيفة وبذلك تصبح سيطرة النمسا كاملة على ألمانيا، ولما كانت ولايات ألمانيا تخشى مطامع بروسيا فقد اتجهت إلى النمسا، كذلك قرر مؤتمر فيينا تكوين الاتحاد الألمانى وكان اتحادًا مفككًا أضعفه اشتراك دول أجنبية مثل الدنمارك وهولندا، وإنجلترا، فى الدايت بحكم إدارتها لولايات ألمانية، وكانت سياسة النمسا فى المانيا تسير وفق مصالحها فقط واستطاع مترنخ أن يطبق نظامه على كل ألمانيا.

وبعد ثورات سنة ١٨٤٨ التى قامت ضد الإمبراطورية النمساوية فقدت النمسا الكثير من نفوذها القديم، وسارت بروسيا إلى زعامة ولايات ألمانيا، وطالب الشعب فى كل مكان فى ألمانيا ببرلمان ألمانى قومى ينتخبه الشعب كى يضع دستورًا ونظامًا لألمانيا الموحدة، وفعلًا اجتمع أول برلمان قومى فى مدينة فرانكفورت سنة ١٨٤٩ وكان غرضه توحيد ألمانيا

كلها تحت حكومة واحدة يرأسها الملك البروسى كإمبراطور وراثى وتقدم البرلمان بالتاج إلى فردريك وليم الرابع ملك بروسيا ولكنه رفض هذا التاج وهكذا فشلت أول حركة شعبية لتوحيد ألمانيا.

زعامة بروسيا التجارية:

كانت بروسيا تسير نحو زعامة ألمانيا التجارية وذلك بسبب سيطرتها على الأنهار الرئيسية إلى جانب امتلاكها للأقاليم الصناعية الهامة، وقد رأى البروسيون أن الاتحاد الألمانى يضم ولايات عديدة لكل منها مكوس خاصة، مما شكل عقبة فى سبيل الازدهار والرخاء وقد أدت النتيجة السيئة للحواجز الجمركية على التجارة وكذلك الاختلافات الاقتصادية بين أجزاء بروسيا إلى تكوين اتحاد جمركى يطلق عليه الزلفرين وقد نظمته بروسيا وألغت الحواجز الجمركية للولايات التى انضمت إليه، وقد أنشئ هذا الاتحاد سنة ١٨١٩، وفى عام ١٨٥٢ كان الاتحاد شاملا لجميع الولايات الألمانية عدا النمسا التى رفض طلبها فى الانضمام إليه، وأهمية هذا الاتحاد الجمركى هو رفع المكوس الداخلية بين الولايات وبذلك سهل توسع ألمانيا الصناعى، إلى جانب أن ألمانيا استعادت وحدة اقتصادية كانت تفتقر إليها وسوف تؤدى سيطرة بروسيا فى هذه الوحدة الاقتصادية إلى سيطرة فى الاتحاد السياسى على يد بسمارك الذى عرف بين عظماء السياسيين برجل «الدم والحديد»

بسمارك:

ينتمى بسمارك إلى طبقة اليونكرز وهى طبقة من صغار النبلاء تميزوا بامتلاكهم الضياع الواسعة وهذه الطبقة تعتنق مبدأ المحافظين والتشبث

بامتيازاتها الاجتماعية والقانونية والمادية، وكانوا من أنصار الحكم الملكى يؤيدونه مادام لاينقص من حقوقهم.

درس بسمارك القانون خارج بروسيا وذلك فى جوتجن وأتمها فى برلين حيث حصل على الدكتوراه سنة ١٨٣٥، وقد عين بعد تخرجه مستشارًا قانونيا فى آخن ثم استقال بعد عامين للتفرغ لأعمال الزراعة، وفى الثانية والثلاثين من عمره أصبح من المقربين فى بلاط فردريك الرابع ملك بروسيا.

وقد عمل بسمارك على جعل بروسيا أكبر وأقوى مملكة فى ألمانيا وأوربا على السواء وكان يرى أن ذلك لا يتأتى إلا باتحاد ألمانيا لأن ألمانيا إذا اتحدت ستقوى وتستطيع أن تفرض إرادتها على كل أوربا، وكان يرى أن تبتلع بروسيا ألمانيا، لا أن تذوب بروسيا فى قلب ألمانيا.

وكان بسمارك يعتقد أن الحكومة الأوتوقراطية هى السبيل الوحيد لاتحاد ألمانيا، وأن الآراء الحرة كالحكم النيابى وحقوق الإنسان لن توصله إلى هذا الاتحاد، وهذا يفسر موقفه من ثورة سنة ١٨٤٨ فى بروسيا التى استجاب فيها الملك لمطالب الأحرار التى تلخصت فى تشكيل برلمان دستورى على أساس انتخابات حرة كذلك حرية الصحافة. واجتمعت الجمعية الوطنية لوضع دستور بروسيا وأصبحت هذه الجمعية تحت سيطرة الحزب الجمهورى، فكان بسمارك يعارض هذه الجمعية وشارك فى إنشاء صحيفة «بروسيا الجديدة» وكانت تعبر عن وجهة النظر الملكية، وقد نجحت الجمعية الوطنية فى وضع الدستور الذى يقضى على نفوذ الملك وسطوته ولكن فى ذلك الوقت نجح القائد فندشجراتز فى سحق الثورة فى فيينا، فقام ملك بروسيا بتشكيل وزارة جديدة تحت رئاسة براندنبرج

الرجعى وتحرك الجيش إلى برلين لسحق الثورة وقضى على الجمعية الوطنية ومعنى ذلك القضاء تمامًا على الدستور ولكن الملك أصدر دستورًا جديدًا أعطى فيه شعبه بعض الحرية فى ٥ ديسمبر سنة ١٨٤٨ وألف جمعية وطنية للتصديق عليه، وتقدم بسمارك لعضوية هذه الجمعية الجديدة.

وقد مات الملك فردريك فى يناير سنة ١٨٦١ بعد مرض طويل أسندت السلطة فى أثنائه إلى أخيه وليم ولم يكن الوصى على العرش راضيًا عن سياسة بسمارك فعين سفيرًا لبلاده فى روسيا خلال الفترة من أبريل سنة ١٨٥٩ إلى أبريل سنة ١٨٦٢ ثم عين سفيرًا لبلاده فى باريس من مايو سنة ١٨٦٢ إلى سبتمبر من نفس العام ثم استدعى إلى بلاده ليتولى منصب مستشار بروسيا.

مشكلة شلزويج - هلشتين:

كان ملك الدانمارك يحكم هاتين الدوقيتين منذ القرن الخامس عشر وكانت هلشتين ضمن الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وبعد سنة ١٨١٥ دخلت الاتحاد الألمانى فقد كان كل سكانها ألمانيين، أما شلزويج فكانت بها أقلية دنماركية فظلت خارج الاتحاد الألمانى، وكان قانون الوراثة فى الدوقتين يمنع النساء من اعتلاء العرش وكان فرع الأسرة الحاكمة فى الدنمارك على وشك الانتهاء وقد حاول ملك الدنمارك سنة ١٨٤٦ ضم شلزويج نهائيا إلى الدنمارك وذلك عندما رأى أن ابنه لن ينجب فأدى ذلك إلى النزاع مع الدايت الألمانى، وقد استغاث الألمان فى شلزويج وهلشتين ببرلمان فرانكفورت. وحاولت بروسيا تنصيب دوق أوجستنبرج حاكمًا عليهما، ولكن الدول الأوربية تدخلت وأجبرت بروسيا فى معاهدة لندن

سنة ١٨٥٢ على الموافقة على ألا يسرى قانون الوراثة وأن تحكم الدنمارك هاتين الدوقتين مع عدم انضمامها إلى الدنمارك.

الحرب ضد الدنمارك سنة ١٨٦٤:

اعتلى كريستيان التاسع عرش الدنمارك والدوقيتين فأصدر دستورًا جديدًا يضم شلزويج إلى الدنمارك، وقام دوق أوجستنبرج بالمطالبة بحقه فى حكم المقاطعتين، وكان الاتحاد الألمانى فى جانب دوق أوجستنبرج ولم يوافق بسمارك على هذا الحق، وقد نجح بسمارك فى خديعة النمسا فى أن تشاركه بجيوشها فى الهجوم على الدنمرك، وتقدمت جيوش الدولتين بروسيا والنمسا وعبرت حدود سلزويج وقاوم الدنماركيون بعد أن خدعهم بسمارك بأن أطلق إشاعة بينهم أن إنجلترا ستعاونهم تنفيذاً لقرارات معاهدة لندن سنة ١٨٥٢ وعندما احتجت إنجلترا بوجوب إحترام معاهدة لندن طالبت بروسيا والنمسا بانفصال الدوقتين عن الدنمرك وتوحيدهما تحت حكم دوق أوجستنبرج، ولم تكن إنجلترا مستعدة للحرب ولم يجد ملك الدنمارك أمامه سوى التنازل عن الدوقيتين لإمبراطور النمسا وملك بروسيا واقترحت النمسا أن يترك الحكم لدوق أوجستنبرج ورفض بسمارك واحتل ثغر كيبل واعتبره من ثغور بروسيا وتأزم الموقف بين الدولتين وانتهى الأمر بعقد اتفاقية جاشتين فى ١٤ أغسطس سنة ١٨٦٥ وبمقتضى هذه المعاهدة تحكم النمسا هلشتين وتحكم بروسيا شلزويج، كما اتفق على أن تتولى بروسيا الإشراف على قلاع كيبل.

الحرب النمساوية البروسية ١٨٦٦:

كان فى اعتقاد بسمارك أن النمسا هى العقبة فى سبيل الاتحاد الألمانى

ولذلك لم يكن هناك بد من محاربتها ومهد لذلك بعقد اتفاق مع روسيا باعتبارها فى حالة الحرب مع النمسا وكذلك طلب مساعدة إيطاليا كما جرت اتفاقات بين بسمارك ونابليون الثالث بخصوص حياد فرنسا أيضا.

اتهم بسمارك النمسا بسوء إدارتها لهولشتين وتعضيدها لدوق أوجستنبرج، وعرضت النمسا مسألة الدوقتين على الدايت، فكان رد بسمارك - الذى اعتبر أن فى ذلك نقضا لمعاهدة جاشتين - أن أرسل جيوشه فاحتلت هولشتين وبذلك بدأت الحرب البروسية النمساوية فى منتصف يونيو سنة ١٨٦٦ وهزم جيش النمسا هزيمة منكرة فى بوهيميا فى موقعة سادوا وتعرف عند الألمان بموقعة كوننجراتز- ودخلت الجيوش البروسية أراضى النمسا فى طريقها إلى فيينا، إلا أن بسمارك رأى عقد الصلح لعدم رغبته فى جرح النمساويين لطمعه فى حيادهم، فهو لايريد أكثر من طرد النمسا من ألمانيا واعترافها بسيطرة بروسيا فى الدوقتين الدنماركيتين. كما كان يرى أن الصلح سيؤدى إلى عدم تدخل نابليون الثالث فى الحرب، وعقد الصلح فى براغ فى ٢٣ أغسطس سنة ١٨٦٦.

وكان من أثر هذه الحرب أن حل الاتحاد الألمانى، وقد انسحبت النمسا من هذا الاتحاد وتنازلت عن دعواها فى شلزويج وهلشتين كذلك أسس الاتحاد الألمانى الشمالى من الولايات الواقعة شمال نهر المين، وكان يرأسه ملك بروسيا، وقد حصلت بروسيا أيضا على ولايات هانوفر ونساو ومدينة فرانكفورت وبذلك توحدت أملاك بروسيا، أما الولايات الجنوبية الألمانية (بافاريا وفرتنبرج وبادن) فقد أبى أن يفرض عليها أى شروط للانضمام إلى الاتحاد الألمانى.

الاتحاد الألمانى الشمالى:

وضع بسمارك دستورًا للاتحاد الشمالى ينظم الحياة السياسية لهذا الاتحاد، وكان دستورًا وافيًا أنشئ فيه برلمان، وكان انتخاب أعضائه بالاقتراع العام، ولم يعط هذا المجلس حق إسقاط الوزارة ولا السيطرة على أى من مشروعات الدولة، وكان للهيئة الدستورية حق النظر فى شئون الاتحاد وتتمثل هذه الهيئة فى المجلس التعاهدى، وكان عدد أعضائه اثنين وأربعين يمثلون حكومات ولايات الاتحاد الشمالى وكانت مداولاته سرية ويرأسه مستشار الاتحاد وهو مستشار بروسيا أيضا.

الحرب الفرنسية البروسية سنة ١٨٧٠:

طالب نابليون الثالث بلكسمبورج أوجزء من الأراضى الألمانية الجنوبية وذلك ثمنًا لوقوفه على الحياد وكذلك موافقته على تكوين الاتحاد الألمانى الشمالى، ولكنه لم ينجح فى ذلك فطلب شراء جزء من لكسمبورج (الجزء الهولندى وكان ملك هولندا قد أعلن عن بيعه فى حالة موافقة بروسيا) ولكن بسمارك رفض ذلك، ودفع بسمارك الولايات الألمانية الجنوبية للاتحاد العسكرى مع اتحاد الشمال وبذلك أصبحت ألمانيا - عدا النمسا - وحدة قوية وبدأ بسمارك فى الاتجاه إلى محاربة فرنسا بعد أن عزلها سياسيًا، وضمن مساعدة روسيا فى حالة دخول النمسا الحرب إلى جانب فرنسا، وكانت خطة فرنسا منذ القرن السابع عشر هى إضعاف ألمانيا وعرقلة الجهود فى سبيل وحدتها ففرنسا تجد فى الجزء الجنوبى من ولايات المانيا مجالا لنفوذها، وكان على بسمارك أن يحاربها ولكن كان عليه أن يبحث عن أسباب معقولة لذلك وقد سنحت له الفرصة عندما

قامت الثورة فى أسبانيا وطردت الملكة إيزابللا وأصبح العرش شاغرًا، وأوعز بسمارك بترشيح الأمير ليوبولد وهو من أسرة الهوهنزلزن لاعتلاء عرش أسبانيا، وخشيت فرنسا من هذا الترشيح، لأن أسرة الهوهنزلزن تحكم بروسيا وحاولت فرنسا لدى ملك بروسيا منع قبول هذا الأمير للعرش ووافق الملك على ذلك، وفى يولية سنة ١٨٦٩ تنازل ليوبولد عن ترشيح نفسه للعرش الأسبانى وكان انسحاب ليوبولد مما يفوت الفرصة على بسمارك ولكن عاد الفرنسيون وطالبوا ملك بروسيا بعدم الموافقة مستقبلاً أيضًا على هذا الترشيح ولكن الملك رفض هذا الطلب الذى قدمه السفير الفرنسى وأرسل الملك وكان يستشفى فى مدينة أمز برقية إلى بسمارك وترك له حرية نشرها فى الصحف إذا أراد وكانت فرصة لبسمارك فنشر هذه البرقية بطريقة توحى بأن الملك أهان السفير الفرنسى، واشتد غضب الرأى العام الفرنسى وأعلنت فرنسا الحرب فى سنة ١٨٧٠.

كان فى اعتقاد الفرنسيين أن تتحالف إيطاليا والنمسا معهم كما كان ينقصها التنظيم الحربى وذلك إلى جانب دقة تنظيم ألمانيا العسكرى وبراعة قائدها فون ملتكه، فتوالت انتصارات البروسيين، وانهزمت القوات الفرنسية بقيادة مكماهون فى ڤرت بالألزاس كما انهزمت القوات الفرنسية فى اللورين، وتخلى الإمبراطور الفرنسى لمرضه عن القيادة العليا لوزير الحربية بازين ولكنه لم يستطع وقف الزحف البروسى وأجبر على الانسحاب إلى متز وهناك استسلم للبروسيين وأخذ القائد الفرنسى مكماهون فى إعادة تنظيم قواته فى شارلون وتحرك إلى متز بناء على إصرار الإمبراطور وكان يرغب فى الدفاع أمام حصون باريس، واستطاع القائد البروسى فون ملتكه أن يهزم مكماهون فى سيدان قرب الحدود-

وفى ٢ سبتمبر وقع الإمبراطور أسيرًا وبذلك سقطت الإمبراطورية الفرنسية الثانية وأصبحت فرنسا جمهورية، وحاولت فرنسا مقاومة الأعداء، ولكن القوات البروسية استطاعت أن تلحق بالفرنسيين الهزائم المتتالية وهددت الجيوش الألمانية كل شمال فرنسا، وحاصرت القوات البروسية باريس، واستسلمت المدينة بعد أن نفذت مؤونتها وتم عقد الصلح فى فرانكفورت فى ١٠ مايو سنة ١٨٧١، وبمقتضى هذا الصلح تنازلت فرنسا عن الألزاس بما فيها من صناعات وكذلك عن جزء كبير من شرق اللورين الغنى بالحديد، واحتفظت بحصن بلفورث مفتاح الألزاس، وكان الألمان يطلبون بهذين الإقليمين بحجة أن سكانهما ألمان ولأنهما اغتصبا من الإمبراطورية الرومانية المقدسة، كما تعهدت فرنسا بدفع غرامات حربية بلغ مقدارها مائتى مليون جنيه وأن تقبل احتلال بروسيا جانبًا من باريس.

وقد انضمت الولايات الألمانية الجنوبية إلى الاتحاد الذى تكون فى الشمال فقامت بذلك الإمبراطورية الألمانية، وفى ١٨ يناير سنة ١٨٧١ أعلن قيام الإمبراطورية الألمانية فى بهو المرايا بقصر فرساى وذلك قبل استسلام باريس بعشرة أيام.

لقد كان من نتائج الحرب الفرنسية البروسية أن أصبحت أوربا كلها. معسكرًا حربيًّا وازداد اهتمام الدول بتنظيم الجيوش وتدريبها لحماية أمنها.